



وَقَعَتْ أَمْسِ حادِثَةُ انتِشَرَ خَبْرُهَا فِي سُورِيَا كُلَّهَا خَلَالْ سَاعَاتٍ مَعْدُودَةٍ، وَهِيَ حادِثَةُ سُقُوطِ الطَّائِرَةِ الْعَمُودِيَّةِ فِي رِيفِ إِدْلِبِ. عَقْبَ سُقُوطِهَا قَبْضُ مَجَاهِدِ الْمَنْطَقَةِ الَّذِينَ يَنْتَمِيُونَ إِلَى فَصَائِلٍ مُخْتَلِفَةٍ عَلَى الطَّيَّارِ وَمَسَاعِدِهِ، فَكَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَسْرَتِهِ جَبَهَةُ النَّصْرَةِ، وَمِنْهُمْ مِنْ أَسْرَتِهِ فَصَائِلٌ أُخْرَى، مِنْهَا الْكِتَيْبَةُ الْأُولَى الْتَّابِعَةُ لِلْفَرْقَةِ 101 مَشَةُ جَيْشِ حَرْ، وَنَشَرَتِ الْفَرْقَةُ تَسْجِيلًا مَصْوِرًا لِلْحادِثَةِ فَشَاهِدَهُ خَمْسَةُ آلَافٍ.

عَلَى الْفُورِ طَارَ الْمُحِيسِنِيُّ إِلَى مَوْقِعِ الْحادِثَةِ، وَسَرَعَانِ ما نَشَرَ فِي الْيُوْتِيُوبِ مَقْطُوعًا مَصْوِرًا يُلْقِي فِيهِ كَلْمَةً حَمَاسِيَّةً وَهُوَ بِجُوارِ الطَّيَّارِ الْأَسِيرِ، وَقَدْ نُشِرَ خَلْفَهُ عَلُوُّ جَبَهَةِ النَّصْرَةِ، فَشَاهِدَهُ خَمْسُونَ أَلْفًا. وَرَاحَ أَنْصَارُ النَّصْرَةِ يَتَبَادِلُونَ التَّهَنِّئَاتِ بِبَطْوَلَاتِ الْجَبَهَةِ الَّتِي أَسْقَطَتِ الطَّيَّارَةِ (وَمَا أَسْقَطَهَا إِلَّا اللَّهُ)، وَكَانَ الْمُحِيسِنِيُّ شَرِيكًا، بَلْ صَانِعًا، لِهَذَا التَّضْلِيلِ الْمَقصُودِ.

لَيْسَ هَذِهِ أَوْلَ مَرَةٍ يَنْسَبُ فِيهَا الْمُحِيسِنِيُّ لِجَبَهَةِ النَّصْرَةِ اِنْتِصَارَاتٍ عَامَّةً شَارَكَتْ فِيهَا فَصَائِلٍ مُخْتَلِفَةً، فَقَدْ سَبَقَتْ مِنْهُ سَوَابِقَ كَثِيرَةٍ كَانَ يَتَعَمَّدُ فِيهَا تَجَاهِلَ الْمَشَارِكِينَ الْمُخْتَلِفِينَ وَالْتَّعْتِيمَ عَلَى إِنْجَازِهِمْ وَإِبْرَازِ دُورِ النَّصْرَةِ دُونَ سُواهَا، فَيَتَوَهَّمُ مُتَابِعُوهُ أَنَّ الْعَمَلَ كُلَّهُ تَمَّ عَلَى يَدِ النَّصْرَةِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهَا فِيهِ شَرِكَاءَ (رَغْمَ أَنَّ مَشَارِكَتَهَا كَانَتْ رَمْزِيَّةً فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ). وَهُوَ حِينَمَا يَصْنَعُ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يَخْدُمُ - مِنْ حِيثِ عِلْمٍ أَمْ لَمْ يَعْلَمْ - خَطْهَ خَبِيثَةً بَدَأَتْ مَعَالِمُهَا بِالظَّهُورِ مِنْذَ بَعْضِ الْوَقْتِ، وَسُوْفَ تَبَدُّلُ أَكْثَرَ وَضُوْحًاً مَعَ الْأَيَّامِ.

لقد أتفق النظام الدولي –بآلته الإعلامية والسياسية الجبارـةـ جهـداً هـائلاً خـلال السـنة المـاضـية في سـبيل تحـويل الثـورة السـورـية المـبارـكة من ثـورة شـعبـ أـسـير مـظلـوم إـلـى حـرب إـرـهـابـة يـشـئـها تنـظـيم مـجـنـون عـلـى العـالـم الـحـرـ، فـتـغـير عنـوان المشـكـلة السـورـية في الإـعلام الدـولـي من "ثـورة شـعـبـية" إـلـى "حـرب عـلـى الإـرـهـابـ". وـنـجـحت الخـطـة الخـبـيـة بـفـضـل دـاعـشـ، سـوـاء أـكـانـت طـرـفـاً في المؤـامـرة بـوـعـي أـمـ حـطـباً لـهـا بلاـ وـعـيـ، لـفـرـقـ، وـصـارـت الثـورة العـظـيمـة الـكـرـيمـة رـجـسـاً يـتـخـوـفـ منـهـ العـالـمـ وـخـطـراً يـسـعـى لـلـخـلـاـصـ مـنـهـ وـلـو بـيـقـاءـ الـأـسـدـ.

إـذـا اـسـتـطـعـنا أـنـ نـسـمـيـ السـنـةـ المـاضـية (2014) "سـنـة دـاعـشـ" فـإـنـا نـسـتـطـعـ أـنـ نـسـمـيـ هـذـهـ السـنـةـ (2015) "سـنـة الـنـصـرـةـ"ـ، حـيـثـ بـدـأـ الإـعلامـ الدـولـيـ وـالـعـرـبـيـ مـنـذـ شـهـرـيـنـ بـتـلـمـيـعـ جـبـهـةـ الـنـصـرـةـ وـتـقـدـيمـهاـ وـتـسـوـيـقـهاـ عـلـىـ أـنـهـاـ الفـصـيـلـ الأـكـبـرـ فيـ سـورـيـاـ، فـيـنـسـبـ إـلـيـهـ الـأـنـتـصـارـاتـ كـلـهـاـ وـيـصـوـرـهـاـ عـلـىـ أـنـهـاـ قـوـةـ لـاـ تـقـهـرــ. حـتـىـ قـنـاـةـ "الـجـزـيرـةـ"ـ صـارـتـ شـرـيـكـةـ فيـ هـذـهـ الـحـمـلـةـ، فـاخـتـرـلتـ الـثـورـةـ كـلـهـاـ فيـ تـسـمـيـتـيـنـ: جـبـهـةـ الـنـصـرـةـ، وـالـمـعـارـضـةـ الـمـسـلـحـةـ (ـالـتـيـ تـضـمـ كـلـ الـفـصـائـلـ الـأـخـرـىـ، بـمـاـ فـيـهـاـ الـفـصـائـلـ الـكـبـرـىـ كـأـحـرـارـ الـشـامـ وـجـيـشـ إـلـلـامـ وـجـبـهـةـ الشـامـيـةـ)ـ، مـاـ دـفـعـ النـاشـطـيـنـ إـلـىـ إـطـلـاقـ وـسـمـ بـعـنـوانـ "قـنـاـةـ الـجـزـيرـةـ: كـلـ الـفـصـائـلـ تـعـمـلـ"ـ.

انتـشـرـتـ حـمـلـةـ تـلـمـيـعـ وـتـروـيـجـ جـبـهـةـ الـنـصـرـةـ فيـ الإـعلامـ الـعـرـبـيـ وـالـغـرـبـيـ النـاطـقـ بـالـعـرـبـيـةـ وـبـغـيـرـهـاـ منـ الـلـغـاتـ بـدـرـجـةـ صـارـخـةـ فيـ الـآـوـنـةـ الـأـخـيـرـةـ، وـمـاـذـاـ بـعـدـ؛ خـلـالـ بـضـعـةـ أـشـهـرـ سـوـفـ تـتـحـولـ سـورـيـاـ فيـ الإـعلامـ الدـولـيـ إـلـىـ أـرـضـ تـقـسـمـهـ وـتـتـنـازـعـ عـلـيـهـ ثـلـاثـ جـمـاعـاتـ: الـنـظـامـ وـدـاعـشـ وـالـقـاعـدـةـ (ـجـبـهـةـ الـنـصـرـةـ)ـ. أـيـ الـقـوـىـ الـثـلـاثـ سـيـخـتـارـ الـعـالـمـ لـيـسـاعـدـهـاـ عـلـىـ الـأـخـرـيـاتـ؟ـ

وـهـكـذـاـ تـكـتـمـلـ الـمـؤـامـرـةـ الـتـيـ بـدـأـنـاـ نـرـىـ إـرـهـاـصـاتـهـاـ مـنـ خـلـالـ تـصـرـيـحـاتـ السـاسـةـ الـأـمـرـيـكـيـنـ وـالـغـرـبـيـنـ، الـتـيـ تـلـمـعـ الـيـوـمـ عـلـىـ اـسـتـحـيـاءـ إـلـىـ ضـرـورـةـ الـتـفـاـوـضـ مـعـ الـأـسـدـ لـحـلـ الـمـشـكـلـةـ السـورـيـةـ، وـالـتـيـ سـتـكـشـفـ فـيـ غـدـ الـقـنـاعـ وـتـقـولـ بـأـوـضـحـ الـكـلـمـاتـ وـأـصـرـحـ الـعـبـارـاتـ: لـقـدـ اـخـتـرـنـاـ أـنـ نـدـعـمـ الـأـسـدـ وـنـحـارـبـ إـلـرـهـابـ الـذـيـ يـحـارـبـ الـأـسـدـ. وـعـلـىـ الـثـورـةـ (ـلـاـ قـدـرـ اللـهـ)ـ الـسـلـامـ.

لـقـدـ اـسـتـطـعـ الـنـظـامـ الدـولـيـ الـمـاـكـرـ أـنـ يـجـرـ جـبـهـةـ الـنـصـرـةـ إـلـىـ الـفـعـ، وـجـرـ إـلـيـهـ أـيـضـاـ أـنـصـارـ الـنـصـرـةـ الـذـينـ بـاـتـواـ يـشـارـكـوـنـ فـيـ تـنـفـيـذـ هـذـهـ الـمـؤـامـرـةـ الـخـبـيـثـةـ بـلـاـ وـعـيـ، عـنـدـمـاـ يـدـفـعـونـهـاـ إـلـىـ مـزـيدـ مـنـ التـمـددـ وـعـنـدـمـاـ يـصـفـقـونـ لـبـغـيـهـاـ عـلـىـ الـفـصـائـلـ الـأـخـرـىـ. كـمـاـ يـشـارـكـ فـيـ هـذـهـ الـمـؤـامـرـةـ الـخـبـيـثـةـ أـيـضـاـ كـلـ مـنـ يـرـوـجـ لـلـنـصـرـةـ وـيـحـاـوـلـ تـصـوـرـهـاـ عـلـىـ أـنـهـاـ هـيـ الـثـورـةـ وـالـثـورـةـ هـيـ، بـمـاـ فـيـهـمـ الـمـحـيـسـنـيـ الـذـيـ يـسـاـهـمـ فـيـ "صـنـاعـةـ التـضـلـيلـ"ـ، فـهـوـ يـضـلـلـ النـاسـ الـيـوـمـ خـدـمـةـ لـفـصـيـلـهـ الـمـفـضـلـ، وـلـكـنـ لـنـ يـكـونـ فـيـ الـنـهـاـيـةـ رـابـحـاـ لـهـ وـلـاـ فـصـيـلـهـ الـمـفـضـلـ، الـذـيـ سـيـصـبـحـ أـدـاءـ لـحـرـبـ الـثـورـةـ قـبـلـ أـنـ يـضـرـبـ هـوـ نـفـسـهـ الـضـرـبةـ الـقـاضـيـةـ. وـسـوـفـ تـكـشـفـ الـأـيـامـ الـسـتـارـاـنـ عـنـ الـأـضـالـيلـ وـالـأـوـهـاـمـ.